قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم

محمد النفاسه

لما التقيت بصديقي سهيل ادريس في باريس ربيع ١٩٥١ ، وكان مكباً على عمله الدراسي في السوربون يجمع المصادر والوثائق لاطروحته عن القصة العربية الحديثة ومدى تأثرها بادب الغرب ، يسلخ من ربيع عمره ومن ايام باريس الحافلة عشر ساعات في اليوم ، سألته وقد هالني هذا الجهد يبذله سهيل في الدرس والتحصيل بعد ان شق لنفسه في الصحافة والادب طريقاً تحف به الآمال ، وتلوح في آفاقه الوعود :

— ما عساك فاعلاً حين تعود ؟

وجاء الجواب واضحاً شفافاً كنفس سهيل :

— لا اعرف ما الذي سأفعله على وجه التحقيق لكسب معاشي . لكن اعرف بالتأكيد ان هناك شيئاً لن افعله ، وهو ان اعود الى الصحافة اليومية . وان شيئاً سأفعله ، وهو ان اصدر مجلة ادبية ، مجلة تعنى بالادب وحده ، بارقى ما يمكن ان تنجبه الاقلام العربية الحديثة ، مجلة تحمل رسالة الادب العربي في اعلى ما يمكن ان يصل اليه ، ان يصبو اليه ...

واذكر اني وافقته على الشطر الاول ، وأبديت مخاوفي من الشطر الثاني . اذ كيف تكتب الحياة في بلدنا لمجلة من هذا الطراز الذي ينتويه . ورحت اعدد المصاعب المعنوية والمادية — لا سيما المادية — التي لا بد ان تقف حجر عثرة في وجه المشروع .

وعاد سهيل — الدكتور سهيل هذه المرة — الى بيروت في مطلع صيف ١٩٥٢ ، وسألته مجدداً عما ينوي ان يفعل ، فقال : المجلة التي حدثتك بها .

وعاودت الكرة احاول تثبيط همته وثنيه عن عزمه ، خاشياً عليه ان يُضيع في المجلة كل انعابه في اعماله الثانية من تدريس واذاعة وتحرير . وكان الجواب :

— هذا موالٌ يدوي في رأسي ، ولا مفرّ من ان اغنيه .

وفي منتصف ذلك الصيف تغدينا انا ومحي الدين النصولي وعبد الله المشنوق وانيس النصولي على مائدة سهيل فوق كتف من اكتاف عيناب الهادئة ، ودفعنا له ثمن الغداء اللطيف متضامنين متكافلين ، معزوفةً من التثبيط ، وكان قائد الجوقة الاستاذ المشنوق الذي دخل في التفاصيل واستشهد بالارقام ليعلن في النهاية افلاس سهيل ادريس اذ ما اصر واقدم على اصدار المجلة الجميلة البديعة العظيمة ، لكن الخاسرة ...

ولا أدري اذا كان سهيل قد ندم إذا اضافنا ذلك اليوم... لكنه على أي حال لم يغير فكره ، وظل الموال في رأسه أقوى من معزوفتنا ..

***

واليوم ، وبعد شهور ، يطلب الي صديقي سهيل رئيس تحرير « الآداب » ان أروي انطباعاتي عن العدد الخامس من مجلة « الآداب » . العدد الخامس.. سامع يا محمد ، يا عبدالله ، يا انيس ، يا محي الدين ؟ خمس اصابع في عيني الشيطان ..

هل يربح سهيل ؟ هل يخسر ؟ هل يرسمل ؟ لا أعرف ! لكن الذي لا شك فيه انه مثل شيخ همنغواي قد ضرب في البحر واندفع في عرضه إلى ابعد ما يستطيع ، وصاد سمكة جميلة ضخمة ومن حسن الحظ انه لم يذهب وحيداً ، ولم يذهب معه غلام ، بل ذهب معه صيادان مثله هما الصديقان منير البعلبكي وبهيج عثمان . وقد استطاعوا جميعاً ان يردوا عن السمكة أذى الأقراش حتى الآن ، وليس ما يمنع ان يردوا هذا الأذى في بقية الطريق .

ان الاصدقاء الثلاثة الذين جمعتهم في الماضي اكثر من صلة يناضلون اليوم في قارب واحد . ولسنا نملك بعد أن رأينا صيدهم إلا ان نعترف باننا كنا على خطأ وانهم كانوا على صواب.

***

بعد هذه المقدمة الاعترافية التي كنت اشعر بالغصة والضيق لو لم انفس عن صدري بها ، اعود إلى المهمة ، وأتأمل هذا العدد الخامس فأجده خواناً حافلاً بالأطباق الفكرية الشهية ، توحد بينها جميعاً مادة الأدب ، وتتخللها بمقادير مختلفة . فهي هنا — في الشعر والقصص — الأدب ، قاعدتها ومرقها وزينتها . وهي هناك — في الدراسات والابحاث — عليها من فلفل الأدب ما

يسيعها ويعري بها . ولئن كانت حصة البحث والدرس تفوق بكثير حصة الخلق والابداع ، فذلك طبيعي ومطلوب في مجلة ذات رسالة رسمت خطوطها منذ العدد الأول في ما سمته أدب الالتزام ، وعليها اولاً ان توجه النتاج الأدبي في سبيل رفع المستوى العربي ثم ان تقدم نماذج لهذا النتاج الذي ما زال في البراعم ، كما تُقدم من روائع الأدب العالمي جرعة ترطب الحلق وتفتح النفس .

ولست أذهب مذهب زميلي الدكتور شكري فيصل الذي علق على العدد الرابع فأطالب بموضوعات علمية مبسطة . فـ « الآداب » مجلة ادبية اولاً ، وفيها من الابحاث الجدية العميقة ما يكفي لاثقال الدماغ . ولا يطلب منها ان تعنى بالعلوم ، إلا بقدر ما يكون لهذه العلوم من أثر في الحياة ، أي في الأدب . واوضح فأقول ان المطلوب أن لا يكون هناك باب خاص للعلوم ، وإنما أن تُسلك العلوم في العقد الأدبي ، ان تأتي في معرض الكلام عن الانسان خلال الشعر والقصص والمقالة الاجتماعية . أما التحدث عن العلوم في نطاق الاختصاص أو التبسيط ، فنحن في حاجة ماسة اليه ، كما قال الدكتور فيصل ، لكن شريطة ان تكون له مجلة خاصة .

انا على العكس لاحظت أن ما ينقص «الآداب» هو بعض النوادر والنكات . فقد قرأت العدد الخامس من الدفة إلى الدفة ، فأثار فيّ ألواناً شتى من العواطف ، تراوح بين القلق والذعر والحزن ، وبين الرضى والاطمئنان والفرح ، واستفز في رأسي التفكير في نواح شتى من مشاكلنا وقضايانا ، لكني لا أذكر ان شفتيّ انفرجتا عن ضحكة بله عن ابتسامة . وهذا كثير .. فاذا فاتنا الأديب الساخر او الكاتب الفكه ، فلا أقل من ان نستعيض بحفنة من النوادر والنكات ننثرها خلال المجلة الرصينة ، ونخفف عن القاريء بعض التوتر ، ولو انه توتر خصيب .

ولا مراء في ان الشعر ينهض بجانب من مهمة الترفيه عن القاريء ، وهو موزع في المجلة توزيعاً حسنا . ولست ازعم اني ناقد شعر ، اتوفر على تحليله وغربلته . لكني في تذوقي هذا اللون العالي من الأدب أستعذبه واستعظمه من خلال مقياس شبه تقليدي : المعنى النادر والصورة الجديدة في قالب بديع . واعلق اهمية خاصة على الصياغة ، فحيث تضعف الصياغة يموت الشعر . وأسارع فأقول ان كل اشعار العدد الخامس جيدة تحت هذا المقياس ، بما في ذلك طبعاً القصائد التي استشهد بها ميخائيل نعيمة لدن حديثه الجميل عن الشاعر نسيب عريضه .

على ان هناك قصيدة تبرز باسقة وسط واحة الشعر في هذا العدد ، بل وسط واحة الشعر العربي على الاطلاق . انها « الملجأ العشرون » لعبد الوهاب البياتي . فهذا التحليق إلى اسمى المعاني ، هذا التحليق إلى دنيا الملاحم على أجنحة حادث يومي تافه فتحٌ جديد في لغتنا . وإني لأتساءل إذا كان في امكان التاريخ أن يحصل على أبدع وأروع وأوجز من هذه الصفحة في تصوير حالة اللاجئين الفلسطينيين والتعبير عن آمالهم وأحلامهم .

***

اذا لم تكن مجلة يرئس تحريرها سهيل ادريس غربالاً جيداً للاقاصيص ، وهو من عانى الاقصوصة ابداعاً ودراسة منذ ان برى قلمه ، فاية قيمة تبقى لهذه المجلة ؟

ان الاقاصيص الثلاث التي حواها العدد الخامس ممتازة ، وكلها ذات نعرة إنسانية مؤثرة ، حتى تلك التي بطلتاها من البقر ! وفيها كلها دليل على ان الاقصوصة العربية في مصر وسوريا والعراق تنحو نحواً جديداً يبشر بكل عميق معقد بديع . « فالصديقتان » لعبد الملك نوري من بغداد ، على ما فيها من هنات لغوية ، قصة غنية بجوها الواقعي الرمزي في آن واحد ، ممتعة بسردها واسترسالها . و « احلام تحت الحذاء » لمحمد ابو المعاطي ابو النجا من القاهرة تزخر باعنف العواطف تحت مظاهر اللين والاستسلام ، فكأنها بركان يراوده الانفجار . و « مرآة النفوس البشرية » لفارس زرزور من دمشق فيها من الوصف وطول النفَس في العرض واصطياد اصغر التفاصيل دون إملال ، ما ينبيء ان في إهاب المؤلف قصصياً مؤهلاً لمعالجة القصة الطويلة بنجاح .

وكان كتاب الشهر رواية اميركية لارنست همنغواي ، لخصها صباح محي الدين بعد مقدمة نقدية صغيرة عن المؤلف . وكان بودي ان اعرف حجم الرواية الاميركية لادرك مدى الجهد الذي بذله صباح في تلخيصها ، وأزداد إعجاباً بابقائه على روعتها . الصحيح ان صباحاً احسن الاختيار واحسن اكثر ما احسن العثور في العربية على مفردات بحرية قليلة الاستعمال ، وضعها في محالّها باحكام . وكان اسلوبه طوال السرد نابضاً بالحياة .

* * *

يمكن القول ان بين مقالات سهيل ادريس « شكاوى

الادب العربي الحديث » وعبد الحميد يونس« اللغة والحيـــاة » وكمال اليازجي « عـــلى هامش الادب المحنط » ، بين كل هذه المقالات صلة نسب ، او قاسماً مشتركا ، يتلخص في ان الادب العربي الحديث لم يتغلغل بعد كل التغلغل الى صميم الشعب ، ولم يعكس حياته بكل ما فيها من هموم واحلام ونزوات . وجد سهيل ادريس العلة في عدة اسباب فصلها وحللها ، لكن نسي ان مطلق الرصاصة الاولى في الثورة العربية هو شريف ، وامير ، وليس من ابنـــاء الشعب . وعندما تكون الثورة نفسها اريستوقراطية ، فمن العسير ان تكـون اصداؤها في الأدب شعبية . ووجد عبد الحميد يونس العلة في ازدواج اللغة : لغة للخاصة ولغة للعامة . وكاد في عرضه المنطقي المحكم للمشكلة يدخل القنوط على قلوبنا ، لولا انه ختم مقاله بنبرة متفائلة تبشر بقرب خلاصنا من هذا الازدواج عن طريق التعليم والصحافة والاذاعة بحيث نصل الى لغة واحدة للحياة . وكان كمال اليازجي على حق في ثورته على الادب المحنط ، او الادب التقليدي ، نلقنه الصغار والكبار من طلابنا ، مع العلم ان في تراثنا القديم شعراً ونثراً اكثر انسانية ، واولى بان يطبعا نفوس الناشئة .

ولعل المنعكس الجامع لكل ما في هذه المقالات التي تكمن فيها بذور الثورة والتمرد هو في مقال الثورة والقصة لألبير كامو – وهو مقال اثني على جهد مترجمه ولو كنت افضل لو أنه اعاد النظر في ترجمته اكثر من مرة عساها تأتي ايسر على الفهم – فقد اكد لنا كامو ان القصة هي بنت المجتمع الثـــائر والانسان الثائر . ولعلنا مجتمعاً وافراداً بدأنا ننطلق من قيود الاستسلام الى آفاق الثورة لنبلغ آفاق القصة التي هي في عصرنا اداة التعبير المهيمنة في الادب .

* * *

لن استطيع التحدث عن بقية المقالات فقد اطلت ، لكن لن انسى التنويه بناحية لم نعهدها في المطبوعات العربية ، هي العناية بالتنقيط ووضع الشكل حين يقتضي الأمر وضعه ، مما يسهّـل الفهم على القارىء . كما انى ان انسى التنويه بابواب المجـــلة وجودة ما فيها من معالجات ومناقشات واخبار ، شريطـة ان لاتستمر المناقشة طويلاً بين ادباء يتلمسون كتب مي ويحركون مباضعهم في حروفها ليحكموا على حقيقة انوثتها ...

محمد النقاش

منشورات دار القلم

في شهر ايار ١٩٥٣

●

U. S. A. بلاد الشيطان الأصفر

يقول ايليا اهرنبورغ في كتابه الثاني من هذه السلسلة : « في الولايات المتحدة عبادات كثيرة مرخص بها غير ان اكثر العبادات انتشاراً هي عبادة الدولار » فهذا ما بينه مكسيم جوركي في الكتاب الثالث من سلسلة حقيقة اميركا : U.S.A. بلاد الشيطان الاصفر . ١٠٠ غ.ل

الحرب والسلام

« الكتاب الثاني »

انه الكتاب الثاني من درة تولستوي التي ينقلها اميل خليل بيدس بدون تصرف الى اللغة العربية عن الطبعة الانجليزية الصادرة في موسكو . ١٠٠ غ.ل

إذا اردت ان تعيش

إن ايليا اهرنبورغ في كتابه هـــذا يفضح مؤامرات تجار الحروب وطغاة وول ستريت ويوضح الطريق التي يجب على الشعوب اتباعها إذا ارادت ان تعيش كما تريد . ٥٠ غ.ل

... وفي الناس المسرة

هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة « كتاب الرابطة » التي تصدرهـــا رابطة الكتاب السوريين .

لقد صدر في الشهر الماضي كتاب الخوري طانيوس منعم « ... وعلى الارض السلام » وهذا الشهر تقدم دار القلم كتاب « ... وفي الناس المسرة » السلام والمسرة .

ويقول الاستاذ حنا منه في مقدمته لهذا الكتاب : « إن في هذه القصص انعطافاً واضحا نحو الاستمداد من المجتمع ، من الحياة ، بكل ما فيها من آلام وآمال وعواطف ونوازع » .

وفي الناس المسرة ، مجموعـــة قصص كتبها سعيد حورانية وقدم لها حنا منه . ١٠٠ غ.ل

روايات القلم

سلسلة من كتب الروايات العالمية التي تختار موضوعاتها وتنشرها دار القلم والتي تنقل الى اللغة العربية بدون تصرف وتصدر ابتداء من منتصف الشهر القادم بكتاب :

١ – بنت القائد	الكسندر بوشكين
– يصدر منها تباعا :	
٢ – مات تولستوي	ثلاد يجر بوزنر
٣ – فارس الامنيات	جورج آمادو

إنها سلسلة الروايات الوحيدة التي تنقل كتبها الى اللغة العربية بدون تصرف او تحريف مهما بلغ عدد صفحات الرواية .

صدر عن دار القلم :

المادية الديالكتيكية .	ستالين	٧٥
اميركا كما شاهدتها	ايليا اهرنبورغ	١٠٠